الموقف الدولى والاحتلال الايطالى لطرابلس

للدكتور محمد محمود السروجى

أثارت طرابلس اهتمام دول الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقبل أن تحتل فرنسا الجزائر فى عام ١٨٣٠ . ففى تلك الفترة وقعت ثلاثة (١) أحداث هامة وجهت الأنظار إلى طرابلس ، أولها استيلاء نابليون بونابرت على مصر ومحاولة الدولة العثمانية مهاجمته من الغرب بالاتفاق مع يوسف باشا والى طرابلس . وثانيها المنافسة بين انجلترا وفرنسا ومحاولة كل منهما جذب يوسف باشا إلى جانبها فى الصراع الدائر بينهما . وثالثها تدخل الولايات المتحدة الأمريكية فى شئون طرابلس عندما أراد يوسف باشا أن يفرض جعالة على السفن الأمريكية المارة أمام الشواطىء الطرابلسية .

ولم يظهر اهتمام ايطاليا بطرابلس الا بعد أن تمت وحدتها فى السبعينات من القرن التاسع عشر ، وان كان هذا الاهتمام قد انصب بالدرجة الأولى على تونس أولا ، ثم طرابلس ثانياً . لاسيما وان قرب تونس لايطاليا جعلها تتمتع بميزة لانتضارعها فيها طرابلس . هذا التقارب الذى أدى فى العصور القديمة إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية هامة بين هذا الجزء من شمال افريقية الذى كان يطلق عليه اسم قرطاجنة وبين ايطاليا . ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال افريقية وايطاليا يؤثر فى الآخر ويتأثر به .

ولم يكن تطلع ايطاليا إلى شمال افريقية بعد عام ١٨٧٠ مرجعه إلى ازدياد عدد السكان بقدر ما كان تخلصا مما تعانيه من الفقر وكثرة عدد العاطلين عن العمل (٢) . ولذا بدأت تنظر إلى شمال افريقية كملجأ للمهاجرين الايطاليين الباحثين عن العمل والثروة والنفوذ .

---

(١) د. نقولا زيادة : محاضرات فى تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) محمد محمود السروجى : علاقات تونسية الفرنسية من الحماية الى الاستقلال ص٧٢ .

وعندما انهارت قوة الدولة العثمانية أمام ضربات الروس فى الحرب التركية (١٨٧٨/٧٧) عرضت انجلترا على ايطاليا انشاء عصبة من دول البحر المتوسط لحماية مصالحهما المشتركة فى هذا البحر . ولكن ايطاليا رفضت ذلك لتفضيلها البقاء على الحياد حتى لا تزج بنفسها فى حرب ليست مستعدة لها . ولذا لجأت انجلترا إلى السلطان العثمانى مباشرة وعقدت معه اتفاقية قبرص . وفى نفس الوقت ضمنت سكوت فرنسا فى مقابل اطلاق يدها فى تونس . وبذلك أبعدت ايطاليا عن مشروعات التوازن الدولى .

وحينما عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ لفض النزاع التركى الروسى بما يحقق نوعاً من التوازن فى القوى بين الدول الكبرى المعنية بالأمر ، استطاعت روسيا أن يكون لها نفوذ فى شرق البلقان ، بينما تمتعت النمسا بنوع من السيطرة على غربة . وأخذت انجلترا — كما سبق أن ذكرنا — جزيرة قبرص فى معاهدة سرية بينها وبين الدولة العثمانية ، وخرجت ايطاليا من هذا المؤتمر صفر اليدين ، فقامت الاضطرابات (١) فى أنحائها مطالبة بضم الترنتينو وبالتوسع فى تونس . وأدى ذلك — بطبيعة الحال — إلى توتر العلاقات بين ايطاليا من ناحية وبين جارتيها النمسا وفرنسا من ناحية أخرى .

ويمكننا أن نقسم سياسة ايطاليا ازاء طرابلس إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى : وتميزت بسياسة المعارضة للتوسع الفرنسى فى شمال افريقية والتصدى له . وقد اتسمت تلك الفترة بالعداء بين ايطاليا وفرنسا .

الفترة الثانية : اتبعت فيها ايطاليا سياسة المصالحة مع الدول الأوروبية الكبرى ، ولاسيما فرنسا . وفى هذه الفترة تقربت ايطاليا من انجلترا وفرنسا . بالاضافة إلى تحالفها مع النمسا وألمانيا . وكذلك عملت على غزو طرابلس اقتصادياً تمهيداً لغزوها عسكرياً . مع وضع تلك الولاية تحت ملاحظة دقيقة حتى لا تقع فى يد دولة أجنبية .

---

(١) محمد محمود السروجى : تاريخ أوربا الدبلوماسى من السبعينات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ص ١٠١ .

الفترة الثالثة : بعد أن تم لفرنسا تسوية مشكلة مراكش ، بدأت ايطاليا تنهج سياسة القوة فى تحقيق أطماعها فى طرابلس .

الفترة الأولى

يرجع العداء بين ايطاليا وفرنسا الذى ظهر فى أعقاب الوحدة الايطالية واستمر حتى عام ١٨٩٦ إلى عاملين اساسيين (١) :

(أولا) ما كانت تعانية الملكية الايطالية من متاعب من قبل البابا ورجال الكنيسة من ناحية ، ومن قبل الارستقراطية الاقطاعية القديمة من ناحية أخرى ، نظراً لحرمانهم من امتيازاتهم القديمة . ومما ضاعف من وطأة تلك المتاعب عطف فرنسا على مطالب البابا ورجال الدين .

(ثانياً) تعارض المصالح واصطدام الأطماع الاستعمارية لكل من فرنسا وايطاليا فى شمال افريقية ، ولاسيما فى تونس .

وقد أزكى هذا العداء ماحدث أثناء انعقاد مؤتمر برلين من مساومات بين انجلترا وفرنسا بشأن عدم اعتراض فرنسا على اتفاقية قبرص فى مقابل موافقة انجلترا على احتلال فرنسا لتونس . وكان سولسبرى وزير خارجية انجلترا يعلم فى ذلك الوقت تمام العلم بأن اتفاقه مع فرنسا سيثير ثائرة ايطاليا ، لأنها ترى المحافظة على الوضع الراهن فى البحر المتوسط ، وأنها لاتقبل أى تغيير فى توازن القوى فى ذلك البحر دون أن تؤخذ موافقتها . ولذا لم يكن لدى سولسبرى مانع من أن تعوض ايطاليا بطرابلس أسوة بفرنسا . وكان بسمرك متفقاً معه فى وجهة نظره .

ولكن ايطاليا وجدت أن كلا من انجلترا وفرنسا لا يأبه كثيراً للمصالح الايطالية (٢) .

---

(١) محمد خير فارس : المسألة المغربية (١٩٠٠ – ١٩١٢) ص ١٧١ .

(٢) محمد محمود السروجى : تاريخ أوربا الدبلوماسى ص ١٠٥ .

وعندما تم لفرنسا احتلال تونس فى عام ١٨٨١ ساد أهل طرابلس الشعور بالحزن على أشقائهم فى تونس ، وبالقلق على مصيرهم . فثارت القبائل الطرابلسية مطالبة باخراج الفرنسيين من تونس . وهاج الفرنسيون ونادوا بتأديب تلك القبائل ، لولا تدخل انجلترا وانذارها الحكومة الفرنسية بأنها لن تسمح لها بالاعتداء على طرابلس ، لكان مصيرها نفس مصير تونس (١) .

ولكن الحكومة الفرنسية لجأت إلى سياسة التهدئة ، فأعلن وزير خارجيتها فى ١٧ يوليو ١٨٨١ بأن بلاده ليست لها نوايا عدوانية تجاه طرابلس ، وكل ما يريده هو ألا تتسرب روح العداء لفرنسا من طرابلس إلى تونس .

وإذا كانت انجلترا قد رضيت من قبل تعويض فرنسا بتونس . فان استيلاء الفرنسيين على تلك البلاد قد أثار غيرتها ، لأنها وجدت فى تونس تعويضاً كبيراً لايدانيه استيلاء الانجليز على قبرص . ولذا (٢) صمموا على الوقوف بكل قوة وحزم ضد تطلعات فرنسا لطرابلس ، وذلك لايجاد نوع من التوازن فى ذلك البحر . لاسيما بعد أن ساءت علاقتهم بفرنسا بعد احتلالهم مصر .

وترتب على فرض الفرنسيين الحماية على تونس أن شعر الايطاليون بعزلتهم وظلم ، فدفعهم ذلك إلى الانضمام إلى التحالف الثنائى (ألمانيا والنمسا) وتكوين التحالف الثلاثى فى ربيع عام ١٨٨٢ (٣) . وفى نفس الوقت شجع بسمرك على إيجاد تقارب بين ايطاليا وانجلترا . وبذلك أصبح الاتفاق تاماً بين الدول منذ عام ١٨٨٧ فيما يتعلق بشئون البحر المتوسط . لاسيما بعد أن وقعت ايطاليا مع انجلترا اتفاقاً سرياً ضد فرنسا وروسيا ، ينص على أن تتبادل الدولتان المعونة للحفاظ على الوضع الراهن فى البحرين المتوسط والأسود .

وكان بوسع ايطاليا أن تلعب دور الوسيط بين المصالح الانجليزية والمطامع الألمانية ، نظراً لأنها تكون همزة الوصل بين الحلف الثلاثى الذى يضم ألمانيا والنمسا وايطاليا ، والحلف الانجليزى الايطالى ، إذا ما سمح لها

(١) M.M. Salwat, Tunis & The Great Powers, p. 203.

(٢) محمد محمود الروجى : مصر والمسألة الشرقية ص ٣٠٨ .

(٣) Baument, M., L'essor industriel et l'impérialisme. P. 42.

الجانبان بفرض حمايتها على مراكش . ففى هذه الحالة تخدم من ناحية الشكل المصالح الانجليزية ، بينما تخدم من ناحية الواقع الاطماع الألمانية . ومعنى ذلك فى كلتا الحالتين حرمان فرنسا (١) .

وفى تلك الفترة رأت ايطاليا بعد أن تجمد الوضع فى البحر المتوسط على هذا النحو أن تعبر عن نشاطها الزائد فى منطقة أخرى من القارة الافريقية. فوقع اختيارها على البحر الأحمر وشرق افريقية ليكون نقطة ارتكاز لعملياتها التوسعية فى المستقبل ، ربما تحين الظروف الدولية المناسبة لتحقيق أطماعها فى طرابلس . فاشترت شركة راباتينو Rabattino خليج عصب فى عام ١٨٧٠ ، ثم حولته بعد ذلك إلى مستعمرة للتاج الايطالى فى عام ١٨٨٢(٢).

وفى ٣ فبراير ١٨٨٥ استولت ايطاليا على ميناء مصوع بموافقة انجلترا . ثم عقدت معاهدة اوتشالى Uccialli مع ملك الحبشة (٢ مايو ١٨٨٩) التى منحتها الحق — من وجهة نظرها — فى بسط حمايتها على الحبشة ، وجعلها منطقة نفوذ ايطالية (٣) . وفى عام ١٨٩٠ صدر مرسوم ايطالى بتوحيد تلك الممتلكات الايطالية فى مستعمرة واحدة تحمل اسم اريتريا .

ولما كانت ايطاليا ترغب فى التوسع فى اقليم تجرى Tigre على حساب الحبشة ، فقد دفعها ذلك إلى الدخول فى مغامرات حربية غير مأمونة العواقب أدت إلى هزيمتها أمام الأحباش فى موقعة عدوة (أول مارس ١٨٩٦) وإلى قبول صلح غير مشرف بالنسبة لها .

كانت موقعة عدوة نقطة تحول هامة فى تاريخ السياسة الاستعمارية الايطالية ، فانهيار آمال الايطاليين فى مزيد من التوسع فى البحر الأحمر وشرق افريقية دفعهم إلى معاودة الاهتمام بشئون البحر المتوسط ، لاسيما

---

(١) Berard, V., Affaire du Maroc, P. 62.

(٢) Marriot, Sir, The Makers of Modern Italy, P. 166.

(٣) محمد محمود السروجى : العلاقات بين مصر وأثيوبيا فى القرن التاسع عشر ص ٢١١

طرابلس . وقد ساعد الحكومة الايطالية على انتهاج تلك السياسة ما كانت تعانيه الدولة العثمانية من متاعب داخل ممتلكاتها : من ثورات الأرمن ، وثورة كريت (١٨٩٦) ، والحرب اليونانية التركية ، ومشاكل مقدونيا وأعمال العصابات البلغارية .

أضف إلى ذلك أن سياسة السلطان عبد الحميد الاسلامية قد وجدت تأييداً لدى الولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى . لاسيما طرابلس التى كانت (١) أرضاً خصبة للمذاهب الدينية المختلفة ، مثل السنوسية والرفاعية والعيسوية وغيرها . ووجدت ايطاليا فى سياسة السلطان عبد الحميد خطراً على مطامعها فى تلك البلاد .

الفترة الثانيه :

شعرت ايطاليا فى ذلك الوقت أن تحقيق أطماعها فى طرابلس يتطلب الاتفاق مع فرنسا وانهاء فترة التوتر التى سادت العلاقات بين الدولتين منذ احتلال فرنسا لتونس . وتم ذلك فى اتفاق عقد بين وزيرى خارجية ايطاليا وفرنسا فسكونتى فنوستا Visconti - Venosta والسيو هانوتو Hanotaux فى ٢٠ سبتمبر ١٨٩٦ اعترفت فيه ايطاليا بالمعاهدة التى عقدتها فرنسا مع باى تونس فى مقابل ضمان حقوق الجالية الايطالية فى تونس (٢) .

ولكن ضمان حقوق الرعاية الايطاليين فى تونس كان الحد الأدنى لمطالب الايطاليين من فرنسا . إذ كانت ايطاليا تخشى أن تمتد يد فرنسا إلى طرابلس وهو الجزء الباقى من ممتلكات الدولة العثمانية فى شمال افريقية . وبذلك يضيع أمل ايطاليا فى بسط سيطرتها عليها فى يوم من الأيام . فكان

---

(١) Cachia, Y.J., Libya under the Second Ottoman Occupation (1835 - 1911) P. 14.

(٢) Croche, B., Histoire de l'Italie Contemporaine (1871—1915) P. 220.

همها ينحصر فى المقام الأول فى اجبار فرنسا على الاعتراف بخروج طرابلس من دائرة المشروعات الاستعمارية الفرنسية .

ولم يكن هذا الأمر يتطلب جهوداً كبيرة من جانب ايطاليا ، لاسيما بعد أن عقدت انجلترا وفرنسا اتفاقاً فى ٢١ مارس ١٨٩٩ يعين (حدود ممتلكات فرنسا الشرقية فى شمال افريقية : بحيث تخرج ولاية طرابلس منها (١) فاذا كانت فرنسا قد اعترفت لانجلترا بذلك ، فلم يكن لديها مانع من أن تعترف بنفس الشيء لايطاليا .

وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومتين الفرنسية والايطالية توصل الطرفان فى عام ١٩٠١ إلى اتفاق ينص على موافقة فرنسا على احتلال ايطاليا لطرابلس إذا ما حدث تغيير فى الوضع الراهن فى البحر المتوسط ، عن طريق بسط فرنسا سيادتها على مراكش (٢) .

ومع أن هذا الاتفاق قد أحدث تقارباً بين الدولتين ، الا أنه لم يحل كل الخلافات الموجودة بينهما ، لأن ايطاليا مازالت عضواً فى التحالف الثلاثى الموجه ضد فرنسا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان يد ايطاليا لم تكن مطلقة فى طرابلس ، بل مقيدة بما تفعله فرنسا فى مراكش (٣) .

وعندما علم الباب العالى بنبأ هذا الاتفاق اتصل بالحكومة الانجليزية لتحذيرها من العواقب الخطيرة التى تترتب عليه فيما يتعلق بتهديد حدود مصر (٤) . ولكن تلك التحذيرات لم يكن لها أى أثر فى ذلك الوقت لأن سياسة الحكومة الانجليزية كانت ترمى إلى استرضاء ايطاليا بموافقتها على احتلال طرابلس .

---

(١) D.D.F., 2ème série, Tome II Munir Bey, Ambassadeur de Turquie à Paris, à M. Delcassé, D. no. 130, Paris, 12 Mars 1902.

(٢) D.D.F. 1ère série Tome I, M. Barrère, Ambassadeur de France à Rome, à M. Delcassé, D. no. 17, Rome, le 10 Janvier 1901.

(٣) محمد خير فارس : القضية المغربية (١٩٠٠ – ١٩١٢) ص ١٧٠ .

(٤) D.D.F., 2ème série, 1ère, série, Barrère à Delcassé D. No. 152, Rome, 21 Mars 1902.

مراجع البحث

المراجع العربية

١ — محمد خير فارس

المسألة المغربية ١٩٠٠—١٩١٢ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦١

٢ — محمد رفعت

تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية القاهرة ١٩٥٩ .

٣ — الدكتور محمد محمود السروجي :

تاريخ أوربا الدبلوماسي من السبعينات إلى الحرب العالمية الأولى . الاسكندرية ١٩٦٦ .

٤ — الدكتور محمد محمود السروجي :

العلاقات بين مصر وأثيوبيا فى القرن التاسع عشر — الاسكندرية ١٩٦١

٥ — الدكتور محمد محمود السروجي :

العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال — الاسكندرية سنة ١٩٦٨ .

٦ — الدكتور محمد محمود السروجي :

مصر والمسألة الشرقية فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر — الاسكندرية سنة ١٩٦٦ .

٧ — الدكتور نقولا زيادة :

محاضرات فى تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالى إلى الاستقلال القاهرة ١٩٥٨ .

المراجع الأجنبية

الوثائق :

Douments Diplomatiques Français, 1871 — 1914.

Ministère des Affaires Etrangères. Commission de publication des documents relatifs aux origines de la guerre de 1914.

الكتب :

1. Baumont, V. L'essor industriel et l'impérialisme. Paris: Presses Universitaires de France 1949.
2. Berard, V., Affaire du Maroc. Paris. Librairie Armand Collin. 1906.
3. Cachia, A'J., Libya under the Second Ottoman Occupation (1835—1911) Tripoli, The Government Press, 1945.
4. Croche, Benedetto, Histoire de l'Italie Contemporaine 1871—1915, traduction française de Henri Bedarida, Paris, Payot, 1929.
5. Marriott, Sir, J.A.R., The Makers of Modern Italy, London, Oxford, University Press, 1931.
6. Safwat, M. M., Tunis & The Great Powers, 1878 — 1881, Alexandria, P.F., Baganis, 1943.
7. Shotwell, James and Deak, Francis, Turkey at the Straits, New York, Macmillan, 1940.